التَّمثيل عند البلاغيِّين المتقدمين

الطالبة:خديجة الياسين.المشرف:د.خلدون صبح.جامعة دمشق.

ملخص البحث:

يُعدُّ التَّمثيل فنًّا بلاغيًّا مهمًّا يضفي على الكلام جمالًا خاصًّا؛ ذلك أنَّه بعيدٌ عن المباشرة قريب من التَّخييل.

تناول البحث مفهوم التَّمثيل لغة، كما ورد في معاجم اللُّغة، ثمَّ تطرَّق إلى مفهوم التَّمثيل كما ورد عند البلاغيِّين ابتداءً بقدامة بن جعفر وانتهاءً بابن أبي الأصبع.

بيَّن البحث من أضاف إلى مفهوم هذا الفنّ من البلاغيِّين، ومن نقل عن سابقيه مع إبداء بعض الملاحظات الَّتي تُغني البحث،وخُتم البحث بذكر أهمِّ النَّتائج الَّتي توصَّل إليها.

الكلمات المفتاحيَّة: التَّمثيل لغة – التَّمثيل اصطلاحًا.

Analogy as seen by advanced rhetoricalists

:Summery of Research

Analogyis considered as an important rhetorical art that adds a distinct beauty to speech; especially as it is imaginative more than direct.

The research dealt with the concept of analogy as a language as mentioned in dictionaries. Then it dealt with the concept of analogy as mentioned by rhetoric writers starting from Qudama Ibn Jaafer ending with Ibn Abi Alasba.

The research showed the rhetoric writers who added the concept of this art and those who just reported from their predecessors; with showing some notes that enrich the research.

The research ends up with mentioning the most important results.

Key words: analogy as a language – similarity in term

المقدِّمة:

يُعـدُّالتَّمثيل مـن الفنـون البلاغيَّـة المهمَّـة الَّتـي تناولهـا البلاغيُّـون، وذلـك للتشـابه الكبيـر بينـه وبـين التَّشـبيه، ولمنـع اللَّـبس الكبيـر بينهمـا وجـب البحـث حـول التَّمثيـل، لمعرفـة مفهومـه، إذ ورد كثيـرًا فـي كـلام العـرب، ولمـا لـه مـن أهمِّيَّـة فـي وإيصـال أفكـارهم بطريقـة فنيِّـة مبتكـرة بعيـدة عـن التَّقريـر والمباشـرة، ممَّـايثير خيـال المتلقِّـي ويحثُّـه علـى إعمـال عقلـه للوصـول إلـى المعنـى المـراد، ومعلـومٌ أنَّ مـا يـأتي بعـد الطَّلـب والتَّفكيـر يكون أشدَّ تأثيرًا في نفس المتلقِّي وأكثر إمتاعًا لعقله.

أهمِّيَّة البحث وأهدافه:

يهدفُ البحث إلى الكشف عن هذا الفنِّ البلاغيِّ، وتقصي وجوده عند البلاغيِّين المتقدِّمين، والبحث حول أوَّل من نظر لهذا المفهوم ومعرفة أساليب طرحه له، ومعرفة ماذا أضاف من اتَّبعه في دراسة هذا الفنِّ، وبيان مدى الاختلاف في طرح هذا المفهوم عند كلٍّ منهم، وكذلك أهمُّ نقاط التَّشابه الواردة في تعريفاتهم له، وذكر بعض الأمثلة الَّتي أوردوها لتُعينَ القارئ على فهم هذا المصطلح فهمًا دقيقًا.

وقد حاول البحث الإجابة عن بعض التَّساؤلات وأبرزها:

1- ما التَّمثيل؟

2- كيف تناول البلاغيُّون هذا المفهوم؟

3- ما مدى الاختلاف والتَّشابه في طرح البلاغيِّين له؟

منهج البحث:

اتَّبع البحث المنهج الاستقرائيَّ التَّاريخيَّ فبدأ بتقصي هذا المفهوم منذ بداية ظهوره مع قدامة ابن جعفر، مرورًا بشيخ البلاغيِّين عبد القاهر الجرجانيِّ، وانتهاء بابن أبي الإصبع.

التَّمثيل لغة:

"مثل: كلمة تسوية. يقال: هذا مِثْله ومَثَله كما يقال شِبهه وشَبَهه بمعنى، قال ابن بري: الفرق بين المماثلة والمساواة أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين، لأنَّ التَّساوي هو التَّكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأمَّا المماثلة فلا تكون إلَّا بين المتفقين، تقول: نَحْوَهُ كنَحْوِهِ، وفِقْهَهُ كَفِقْهِهِ، ولَوْنُهُ كَلَوْنِهِ، وطَعْمُهُ كَطَعْمِهِ، فإذا قيل: هو مِثْله على الإطلاق فمعناه أنه يسدُّ مسدَّه، وإذا قيل: هو مِثْله في كذا فهو مساوٍ له في جهة دون جهة، والعرب تقول: هو مُثَيْلَ هذا وهو أمَيثَالُهم، يريدُ أنَّ المشبه به حقير كما أنَّ هذا حقير. والمِثْلُ: الشَّبهُ. يقال: مِثْل ومُثْل، وشِبه وشَبَه بمعنى واحد، قال ابن جني: وقوله عز وجل: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُوْنَ﴾ {الذَّاريات:23}، جعل (مِثْلَ وَمَا) اسمًا واحدًا فبنى الأوَّل على الفتح، وهما جميعًا عندهم في موضع رفع لكونهما صفة (لحقٌّ)، وقوله تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾ {الشُّورى: 11}، أرادليس مثله، لا يكون إلَّا ذلك، لأنَّه إن لم يقل هذا أثبت له مِثلًا تعالى الله عن ذلك.

والمَثْل والمثِيْل: كالمِثل، والجمع أمثال، وهما يتماثلان، وقولهم فلان مِستَرادٌ لمثله، وفلانة مسترادةٌ لمثِلها، أي مثلَه يطلب ويُشَحُّ عليه، وقيل: معناه مستراد مثله أو مثلها، واللَّام زائدة، والمثل: الحديث نفسه، قال تعالى: ﴿وَلِلهِ المَثَلُ الأَعْلَى﴾ {النَّحل: 60}،قال ابن سيده: وقد مَثَّل به وامتَثَلَهُ وتَمَثَّل به، وتَمَثَّلَهُ، قال جرير: والتَّغلبيُّ إذا تنحنح للقِربحكَّ استه وتمثَّل الأمثال، على أن هذا قد يجوز أن يريد به تَمَثَّلَ بالأمثالِثمَّ حذف وأوصل، وقال الجواهري: وِمِثْلُ الشيء أيضًا صفته،وقال ابن سيده: وقوله عز وجل من قائل: ﴿مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ المُتَّقُون﴾ {الرَّعد: 35}، قال اللَّيث: مثلها هو الخبر عنها، وقال أبو إسحق: معناه صفة الجنَّة، وردّ ذلك أبو علي قال: لأن المثل الصِّفة غير معروف في كلام العرب،إنَّما معناه التَّمثيل"[1].

و"مثَّلَ بفلان: مَثَلَ، والتَّشديد للمبالغة، ومثَّل الشيء بالشيء تَمْثِيْلًا وتِمْثَالًا: شبهه به وقَدَّرَه على قَدْرِه، مثّل الشيء لفلان: صوره له بكتابة أو غيرها متى كأنَّه ينظر إليه، مثَّلَ قومَهُ في دولةٍ أو مؤتمرٍ ناب

[1]لسان العرب: محمَّد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، مادة (مثل).

عنه، مثَّلَ المسرحيَّة: عرضها على المسرح عرضًا يُمثِّلُ الواقع للعِظَةِ والعِبرة، مثَّلالتَّمثيل: صورها"[1].

أوَّلًا: التَّمثيل عند قدامة بن جعفر"ت337هـ":

في البداية لابدَّ من التَّنويه إلى أنَّ التَّمثيل سبق ذكره عند أبي عبيدة معمَّر ابن المثنى "ت209هـ"، وهو عنده التَّشبيه أو تشبيه التَّمثيل، ولكن نظرًا لضيق المفهوم عنده ولعدم توسُّعه في شرحه فإنَّ قدامة يعدُّ من أوائل العلماء الَّذين وضعوا حدًّا تعريفيًّا للتمثيل، وقد أدرجه تحت باب "ائتلاف اللَّفظ والمعنى"؛ فقال: هو "أن يريد الشَّاعر إشارة إلى معنى فيضع كلامًا يدلُّ على معنى آخر، وذلك المعنى الآخر والكلام منبئان عمَّا أراد أن يشير إليه؛ وذلك كقول عمير ابن الأيهم:

رَاحَ القَطِيْن من الثَّغراء أو بكروا وصدَّقوا من نهارِ الأمسِ ما ذكروا

قالوا لنا وعرفنا بعض بينهم قولًا فما وردوا عنه وما

قد كان يُستغنى عن قوله: فما وردوا عنه وما صدروا، بأن يقول: (فما تعدوه)، أو (فما تجاوزوه)، ولكن لم يكن له من موقع الإيضاح وغرابة المثل ما لقوله: فما وردوا عنه وما صدروا"[1].

[1]معجم الوسيط: مجمع اللُّغة العربيَّة، مادة "م ث ل"، مكتبة الشُّروق الدُّوليَّة، مصر، ط5، 2011م.

يفهم من كلام قدامة أن التَّمثيل يؤدِّي وظيفة بلاغيَّة في الكلام، وهي توضيح المعنى، كما أنَّه يؤدِّي وظيفة جماليَّة، وهي إخراج الكلمِ من حيِّز المألوف المبتذل إلى حيِّز الغريب الخاصيِّ.

وقال بعض العرب كما ورد عن قدامة:

فَتًى صَدَمَتْهُ الكَأْسُ حَتَّى كَأَنَّمَا بِهِ فَالِجٌ مِن دَائِهَا فَهُوَ يُرْعَشُ

"والكأس لا تصدم، ولكنه أشار بهذا التَّمثيل إشارة حسنة إلى سُكره"[2].

ثانيًا: التَّمثيل عند الباقلاني "ت403هـ":

وسمَّاه المماثلة وعدَّها "ضربًا من الاستعارة، وذلك أن يقصد الإشارة إلى معنى فيضع ألفاظًا تدلُّ عليه، وذلك المعنى بألفاظه مثال للمعنى الَّذي قصد الإشارة إليه، نظيره من المنثور أنَّ يزيد بن الوليد بلغه أنَّ مروان بن محمَّد يتلكأ عن بيعته فكتب إليه: (أمَّا بعد فإني أراك تقدِّم رجلًا وتأخر أخرى فاعتمد على أيُّهما شئت)"[3].

[1] نقد الشِّعر: أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، ط3، 158- 159

[2] نقد الشِّعر: 161

[3] الإتقان في علوم القرآن: جلال الدِّين عبد الرحمن السُّيوطي، وبالهامش: إعجاز القرآن: أبو بكر الباقلّاني، المكتبة الثَّقافيَّة، بيروت – لبنان، 1973م، 2151/1 216

نلحظ أن الباقلاني قد ذكر تعريف التَّمثيل وذكر مثالًا له دون أن يشرح أو يفصل الكلام.

ثالثًا: التَّمثيل عند ابن سنان الخفاجي "ت 466هـ":

يرى الخفاجي أنَّ "من نعوت البلاغة والفصاحة أن يراد معنى فيوضَّح بألفاظ تدلُّ على معنى آخر وذلك المعنى مثال للمعنى المقصود، وسبب حُسن هذا مع ما يكون فيه من الإيجاز أنَّ تمثيل المعنى يوضِّحه ويخرجه إلى الحسِّ والمشاهدة، وهذا فائدة التَّمثيل في جميع العلوم؛ لأنَّ المثال لا بدَّ من أن يكون أظهر من الممثل، فالغرض بإيراده إيضاح المعنى وبيانه، ومن هذا الفنِّ قول الرَّماح بن ميَّادة:

ألم تكُ في يمنى يديك جعلتني فلا تجعلني بعدها في شمالكا

فأراد، إنِّي كنتُ عندك مقدَّمًا فلا تؤخِّرني، ومقرَّبًا فلا تبعدني، فعدَّل في العبارة عن ذلك إلى أنِّي كنت في يمينك فلا تجعلني في شمالك؛ لأن هذا المثال أظهر إلى الحسِّ"[1].

لقد اتَّبع الخفاجيُّ قدامة في تعريفه للتمثيل إلَّا أنَّه أعاد صياغة التَّعريف بألفاظ أخرى، وذكر مزيَّةً أخرى للتمثيل هي الإيجاز، فالألفاظ الَّتي يحملها التَّمثيل موجزة إلَّا أَّنها تؤدِّي معاني كبيرة لما تحمله من دلالات قد لا تحملها دلالات الكلام لو أوردناه مباشرًا.

ويرى الخفاجيُّ أنَّ الاستدلال بالتَّمثيل "يزيد في الكلام معنى يدلُّ على صحته بذكر مثال له، نحو قول أبي العلاء:

لو اختصرتم من الإحسانِ زرتكم والعذبُ يُهجَرُ للإفراطِ في الحضرِ

فدلَّ على أنَّ الزِّيادة فيما يطلب ربَّما كانت سببًا للامتناع منه، بتمثيل ذلك بالماء الَّذي لا يشرب لفرط برده وإن كان البرد فيه مطلوبًامحمودًا"[2].

[1] سرُّ الفصاحة: أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ط1، 1982م، 232–233

[2] سرُّ الفصاحة: 275

لقد أضاف ابن سنان إضافة لطيفة إلى مفهوم التَّمثيل هي (الاستدلال بالتَّمثيل) وفائدته في الكلام هي تأكيد صحة المعنى الَّذي قصده القائل ممَّايجعله أكثر إقناعًا للمتلقِّي.

رابعًا: التَّمثيل عند عبد القاهر الجرجاني "ت 471هـ":

التَّمثيل كما ورد عن الجرجاني "الأصل في كونه مِثْلًا وتَمْثِيْلًا، وهو التَّشبيه المنتزع من مجموع أمور، والَّذي لا يُحصِّله لك إلَّا جملة من الكلام أو أكثر؛ لأنَّك قد تجد الألفاظ في الجمل الَّتي يُعقد منها جارية على أصولها وحقائقها في اللُّغة"[1]، فالتَّمثيل هنا ليس داخلًا في باب المجاز.

والجرجاني يُفرِّق بين التَّمثيل والتَّشبيه الصَّريح، فالتَّمثيل كما ورد عنه "يعطيك مثلًا من طريق المشاهدة، وذلك أنَّك في التَّمثيل بحكم من يرى صورة واحدة إلَّا أنَّه يراها تارة في المرآة وتارة على ظاهر الأمر، وأمَّا في التَّشبيه الصَّريح فإنك ترى صورتين على الحقيقة"[2].

[1] أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلَّق عليه: محمود محمَّد شاكر، دار المدني، جدة، ط1، 1991م، 238.

[2] أسرار البلاغة: 237

الفرق بين التَّشبيه والتَّمثيل، أنَّه في التَّشبيه نجد صورتين محسوستين، أمَّا في التَّمثيل نجد صورتين واحدة حسيِّة والثَّانية عقليَّة. ومن الشَّواهد الَّتي أتى بها ليدلَّ على صحة ادِّعائه، قول قيس ابن الخطيم:

وقد لاحَ في الصبحِ الثريةُ لمن رأى كعنقودِ مُلّاحيةً حينَ نوَرا

يرى أنَّ هذا البيت يحتوي على تشبيه، وهو "تشبيهٌ حسنٌ، ولا تقول هو تمثيل. وكذلك تقول: (ابن المعتز حَسَنُ التَّشبيهات بَدِيعُها) لأنَّك تعني تشبيهه المبصرات بعضها مع بعض، وكلُّما لا يوجد الشَّبه فيه من طريق التَّأوُّل، كقوله:

كَأَنَّ عُيُونَ النَّرْجِسِ الغَضِ حَولَهَا مداهنُ در حشوهُن عقيقُ

أمَّا شاهده عن التَّمثيل فهو قول ابن المعتز:

اصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الحُسُو دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتلُه

فالنَّارُ تأكلُ نفسَها إن لم تجد ما تأكُلُه

إنَّه تمثيل؛ لأنَّ تشبيه الحسود-إذا صبر عليه، وسكت عنه، وترك غيظه يتردَّد فيه- بالنَّار الَّتي لا تمدُّ بالحطب حتَّى يأكل بعضها بعضًا، ممَّاحاجته إلى التَّأوُّل ظاهرة بينة"[1].

من خلال ما سبق نتبيَّن وجود فارق آخر بينهما ألا وهو:أنَّ وجه الشَّبه في التَّشبيه واضحٌ بيِّنٌ لا يحتاج إلى إعمال الفكر لأنَّه مبصر يمكن إدراكه عن طريق المشاهدة الحسيَّة.

أمَّا وجه الشَّبه في التَّمثيل لابدَّ فيه من إعمال العقل لا الحواس، على اعتبار أن عنصر التَّخييل موجود فيه على خلاف التَّشبيه.

ويرى الجرجاني أنَّ "التَّمثيل الَّذي يكون مجازًا لمجيئك به على حدِّ الاستعارة، فمثاله قولك للرجل يتردَّد في الشيء بين فعله وتركه: أراك تقدِّم رِجلًا وتأخرُ أخرى، فالأصل في هذا: أراك في تردُّدك كمن يقدِّم رِجلًا ويؤخِّر أخرى، ثمَّ أُختُصِر الكلام وجُعِلَ كأنَّه يقدِّم الرِّجل ويؤخِّرها على الحقيقة، كما كان الأصل في قولك: (رأيتُ أسدًا)، رأيتُ رجلًا كالأسد،ثمَّ جعل كأنَّه الأسد على الحقيقة، وتقول للرَّجُل يعمل

[1]أسرار البلاغة: 95، 97.

الحيلة حتَّى يميل صاحبه إلى الشيء قد كان يأباه ويمتنع منه: (ما زال يفتلُ في الذُّروةِ والغاربِ حتَّى بلغَ منه ما أرادَ)، فتجعله بظاهر اللَّفظ كأنَّه كان منه فتل في ذروة وغارب، والمعنى على أنَّه: لم يزل يرفق بصاحبه رفقًا يشبه حاله في حال الرجل يجيءُ إلى البعير الصَّعب، فيحكَّه ويفتل الشَّعر في ذروته وغاربه حتَّى يسكن ويستأنس، وهو في المعنى نظير قولهم: (فلانٌ يقردُّ فلانًا)، يعني: أنَّه يتلطف به، فعلُ الرَّجل ينزع القُرَادة من البعير ليُلِذهُ ذلك، فيسكن ويثبت في مكانه حتَّى يتمكن من أخذه"[1].

نلحظ من كلام الجرجاني أنَّ التَّمثيل هنا داخلٌ في مفهوم المجاز، إذ أنَّهم يذكرون اللَّفظ الحقيقيَّ ولا يريدونه إنَّما يريدون معنى آخر، ولا يريدونه على وجه الحقيقة، كما أنَّهم يستعيرون تركيبًا كاملًا للدلالة على تركيب ثانٍ يُفهمُ من السِّياق ممَّايزيد المعنى بهاءً ورونقًا.وهذا ما اصطلح على تسميته عند المتأخرين بالاستعارة التَّمثيليَّة.

لم يكتفِ الجرجاني التَّفصيل في القول في التَّمثيل وإنَّما بيَّنَ مزيَّةالتَّمثيل عن غيره من الكلام؛ويقول: "وهكذا قياس التَّمثيل، ترى المزيَّة أبدًا في ذلك تقع في طريق إثبات المعنى دون المعنى نفسه. فإذا

[1] دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه: محمود محمَّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 61-62

سمعتهم يقولون: إنَّ من شأن هذه الأجناس أن تكسب المعاني نُبلًا وفضلًا، وتُوجب له شرفًا، وأن تفخِّمها في نفوس السَّامعين وترفع أقدارها عند المخَاطَبين، فإنَّهم لا يريدون الشَّجاعة والقِرى وأشباه ذلك من معاني الكلِم المفردة، وإنَّما يعنون إثبات معاني هذه الكلِم لمن تثبت له ويُخبرُ بها عنه، فإنَّك إذا قلت: (أراك تقدِّم رجلًا وتؤخِّر أخرى)، فأوجبت له الصورة الَّتي يُقطع معها بالتَّحيُّر والتَّردُّد، كان أبلغ لا محالة من أن تجري على الظاهر؛ فتقول: قد جعلت تتردَّد في أمرك، فأنت كمن يقول: (أخرج ولا أخرج)، فيقدِّم رجلًا ويؤخِّر أخرى"[1].

فما يميِّز التَّمثيل عن غيره من الكلام هو الطَّريقة الَّتي يثبت من خلالها المعنى عن طريق المثال، الَّذي يؤدِّي الفكرة والمعنى المراد إيصاله إلى المتلقِّي.

خامسًا: التَّمثيل عند ضياء الدِّين ابن الأثير "ت558هـ":

لقد عدَّ ابن الأثير التَّمثيل والتَّشبيه شيئًا واحدًا كما أنَّه استغرب من تفريق البلاغيِّين بينهما؛ فقال: "وجدت علماء البيان قد فرَّقوا بين التَّشبيه والتَّمثيل، وجعلوا لهذا بابًا مفردًا، وهما شيء واحد لا فرق بينهما

[1] دلائل الإعجاز: 73

في أصل الوضع؛يقال: شبهت هذا الشيء بهذا الشيء، كما يقال: مثَّلته به، وما أعلم كيف خَفي ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه"[1].

نجد من أقوال ابن الأثير أنَّه لم يفصِّل الحديث حول التَّمثيل؛ لأنَّه عدَّه والتَّشبيه لونًا بلاغيًّا واحدًا، وحجَّته في ذلك تعود إلى الأصل اللُّغوي لكلا المصطلحين، ودلالَتيهما اللُّغويَّة الواحدة، وربَّما أغفل ابن الأثير المعنى الاصطلاحيَّ للتمثيل الَّذي تطرق إليه علماء البلاغة.

سادسًا:التَّمثيل عند فخر الدِّين الرازي "ت 606هـ":

نحا الرازي منحًى مختلفًا عن سابقيه، فقد أدرج تحت مصطلح التَّمثيل ثلاثة فنون بلاغيَّة، وهي: (التَّشبيه التَّمثيليُّ، والاستعارة التَّمثيليَّة، والتَّمثيل باعتباره لونًا بلاغيًّا مستقلًا)؛ فقال: "وقد خصُّوا التَّشبيه المنتزع من اجتماع أمور، يتقيَّد البعض بالبعض باسم التَّمثيل، فقد يكون ذلك على حدِّ الاستعارة، كقولهم لمن يتردَّد في الأمر: أراك تقدِّم رجلًا وتؤخِّر أخرى. والأصل: أراك في تردُّدك كمن يقدِّم رجلًا و يؤخِّر أخرى. وقد يكون لا على حدِّ الاستعارة، كما أوردناه في قوله

[1]المثل السَّائر: ضياء الدِّين ابن الأثير، تحقيق: محمَّد محي الدِّين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة، صيدا – بيروت، 1990م، 373/1

تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِيْنَ حَمَلُوا التَّورَاةِ﴾ {الجمعة: 5}"[1]، فقد قصد بقوله حول تخصيص التَّشبيه المنتزع من اجتماع الأمور: هو ذاته ما اصطلح عليه بالتَّشبيه التَّمثيلي، أمَّا التَّمثيل على حدِّ الاستعارة فالمقصود به الاستعارة التَّمثيليَّة، وأمَّا التَّمثيل الَّذي لا يكون على حدِّ الاستعارة فالمقصود به ما ضُرِبَ مثلًا.

سابعًا: التَّمثيل عند السَّكّاكي "ت626هـ":

يرى السَّكاكي أنَّ "التَّشبيه متى كان وجهه وصفًا غير حقيقيٍّ وكان منتزعًا من عدَّة أمور خصَّ باسم التَّمثيل، كالَّذي في قوله:

اصبر على مضضِ الحسو دِ فإن صبرك قاتله

فالنَّار تأكلُ نفسها إن لم تجد ما تأكله

فإنَّ تشبيه الحسود المتروك مقاولته بالنَّار الَّتي لا تمدُّ بالحطب، فيسرع فيها الفناء ليس إلَّا في أمر متوهَّم له، وهو ما تتوهَّم إذ لم تأخذ معه في المقاولة، مع علمك بتطلُّبه إيَّاها، عسى أن يتوصَّل بها إلى نفثة مصدور،من قيامه إذ ذاك مقام أن تمنعه مايمدُّ حياته ليسرع فيه الهلاك، وإنَّه كما ترى منتزع من عدَّة أمور؛ أو كالَّذي في قوله

[1]نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: فخر الدِّين الرازي، تحقيق: بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ط1، 1985م، 229– 230

تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَولَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾{البقرة: 17}، فإنَّ وجه تشبيه المنافقين بالَّذين شبهوا بهم في الآية، هو رفع الطَّمع إلى تسنِّي مطلوب بسبب مباشرة أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة، لانقلاب الأسباب، وإنَّه أمرٌ توهميٌّ كما ترى منتزع من أمور جمَّة؛ وكالَّذي في قوله تعالى أيضًا: ﴿أَو كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيْهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرِ المَوْتِ﴾{البقرة: 19}، وأصل النَّظم: (أو كمثل ذوي صيب)، فحذف ذوي لدلالة ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم﴾ عليه، وحذف (مثل) لما دلَّ عليه عطفه على قوله: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوقَدَ نَارًا﴾ إذ لا يخفى أنَّ التَّشبيه ليس بين مثل المستوقدين، وهو صفتهم العجيبة الشَّأن وبين ذوات ذوي الصَّيب، إنَّما التَّشبيه بين صفة أولئك، وبين صفة هؤلاء"[1].

نلحظ ممَّاسبق أنَّ التَّمثيل عند السَّكاكي هو ما اصطلح عليه فيما بعد باسم التَّشبيه التَّمثيليِّ.

ثامنًا: التَّمثيل عند ابن أبي الإصبع المصري "ت 654" هـ:

[1]مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن محمَّد بن علي السَّكاكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ط1، 2000م، 455-456

التَّمثيل عند ابن أبي الإصبع مأخوذ ممَّا قاله قدامة بن جعفر، وذلك عندما فسَّر قول قدامة بقوله:"باب التَّمثيل: هذا الباب أيضًاممَّافرَّعه قدامة من ائتلاف اللَّفظ مع المعنى، وقال: هو أن يريد المتكلم معنًى فلا يدلُّ عليه بلفظه الموضوع له، ولا بلفظٍ قريبٍ من لفظه، وإنَّما يأتي بلفظ هو أبعد من لفظ الإرداف قليلًا، يصلح أن يكون مثالًا للفظ المعنى المراد، مثل قوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ الأَمْر﴾ {هود: 44}، وحقيقة هذا: أي هلك من قضي هلاكه، ونجا من قدِّرت نجاته، وإنَّما عدل عن اللَّفظ الخاصِّ إلى لفظ التَّمثيل لأمرين: أحدهمااختصار أمر اللَّفظ، والثَّاني كون الهلاك والنَّجاة كان بأمر مطاع، إذ الأمر يستدعي آمرًا وقضاؤه يدلُّ على قدرة الآمر وطاعة المأمور، ولا يحصل ذلك من اللَّفظ الخاصِّ"[1].

يخالف ابن أبي الأصبع الصَّواب فيما نقله عن قدامة، وما نقله إنَّما هو تعريف قدامة للإرداف لا التَّمثيل، علمًا أنَّ قدامة قد خصَّ التَّمثيل بتعريف يختلف عن تعريف الإرداف، وهو نوع آخر من أنواع

[1]تحرير التَّحبير: ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: حنفي محمَّد شرف، القاهرة، 1995م، 214.

ائتلاف اللَّفظ والمعنى، ولكلَّ منهما أمثلته الخاصَّة الَّتي تفسره وتوضحه.[1]

وقد أورد ابن أبي الإصبع الشَّاهد الشِّعري ذاته الَّذي أورده الخفاجي مع غنى في الشَّرح والتَّفصيل:

ألم أكُ في يمنى يديك جعلتني فلا تجعلني بعدها في شمالكا

فإنَّ هذا الشَّاعر أراد أن يقول: ألم أكن قريبًا منك، فلا تجعلني بعيدًاعنك، فعدل عن هذا اللَّفظ الخاصِّ إلى لفظ التَّمثيل، لما فيه من الزِّيادة في المعنى، ولما تعطيه لفظتا اليمين والشِّمال من الأوصاف الَّتي لا تحصل إلَّا بذكرهما؛وذلك لأنَّ اليمين أشدُّ قوَّةً من الشَّمال غالبًا وهي أقرب إلى ربِّها من الشَّمال؛ لأنَّها بها يأخذ، وبها يعطي، وبها يبطش، وهي مكرمَّة عنده، قد أهلَّت لطعامه وشرابه واستغفاره وأذكاره، والشِّمال مؤهلة لاستنجائه واستتثاره، والمهنة الدَّنيَّة، واسم اليمين مشتق من اليمن وهو البركة، واسم الشِّمال مشتق من الشُّؤم، ولهذا حضَّ النَّبي صلَّ الله عليه وسلَّم على التيامن"[2].

[1]انظر باب ائتلاف اللَّفظ والمعنى في كتاب قدامة بن جعفر "نقد الشِّعر

[2]تحرير التَّحبير: 216

نلحظ من خلال المثال السَّابق أن التَّمثيل قد أدَّى معاني كثيرة بما تحمله ألفاظه القليلة من دلالات وإيحاءات تُغني المعنى وتبرزه في أحلى صورة.

وقد أُلحق بالتَّمثيل "باب ما يخرجه المتكلِّم مخرج المثل السَّائر، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُوْنِ اللهِ كَاشِفَةٌ﴾{النَّجم: 52} وقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾{الإسراء: 7}"[1].

الخاتمة:

نجد ممَّاسبق اضطراب المفهوم عند معظم البلاغيِّين فألحقه البعض بالتَّشبيه، والبعض الآخر بالاستعارة ولم يتخذ مفهومًا واضحًاإلَّا مع عبد القاهر الجرجاني لاسيَّما في كتابه أسرار البلاغة الَّذي توسع فيه بشرح التَّمثيل.

وقد توصل البحث إلى العديد من النَّتائج وأهمُّها:

1- أدرج قدامة بن جعفر التَّمثيل تحت باب ائتلاف اللَّفظ والمعنى.

[1] تحرير التحَّبير: 217

2- نقل ابن أبي الإصبع المصريّ عن قدامة إلَّا أنَّه جانب الصَّواب فنقل تعريف الإرداف متوهِّمًا أنَّه التَّمثيل.

3- عدَّ ابن الأثيرالتَّشبيه والتَّمثيل بابًا واحدًاوفقًا للأصل اللُّغويِّ الواحد.

4- فصَّل فخر الدِّين الرَّازي الكلام في التَّمثيل، وفرَّعه إلى ثلاثة أنواع بلاغيَّة: (تشبيه تمثيليٌّ، واستعارة تمثيليَّة، وما ضُرِب مثلًا).

5- سمَّى الباقلَّاني التَّمثيل بالمماثلة وعدَّه ضربًا من الاستعارة.

6_كان الجرجاني أكثرهم توسعًا في طرح هذا المفهوم وبيان مزيته وجماليته البلاغيَّة والفنيَّة، ويمكن القول إن الجرجاني قد بلوره وجعله فنًّا متكاملًا.

قائمة المصادر والمراجع:

1- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدِّين السُّيوطي، مؤسَّسة الرِّسالة، سوريا، ط1، 2008م.

2- أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمَّد شاكر، دار المدني، جدة، ط1، 1991م.

3- إعجاز القرآن: أبو بكر الباقلّاني، المكتبة الثقافيَّة، بيروت – لبنان، لاط، 1973م.

4- تحرير التَّحبير: ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: حنفي محمَّد شرف، القاهرة، لاط، 1995م.

5- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه: محمود محمَّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، لاط، لات.

6- سرُّ الفصاحة: أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ط1، 1982م.

7- لسانالعرب: محمَّد بن مكرم بن علي جمال الدِّين بن منظور، دار إحياء التُّراث العربيِّ، بيروت، ط1، 1416هـ- 1995م.

8- المثل السَّائر: ضياء الدِّين ابن الأثير، تحقيق: محمَّد محي الدِّين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة، صيدا – بيروت، لاط، 1990م.

9- معجم الوسيط: مجمع اللُّغة العربيَّة، مكتبة الشُّروق الدوليَّة، مصر، ط5، 2011م.

10- مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن محمَّد بن علي السَّكاكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ط1، 2000م.

11- نقد الشعر: أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، ط3، لات.

12- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: فخر الدِّين الرازي، تحقيق بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط1، 1985م.